

مناشيء الصراع

(المحاضرة الخامسة)

تستمد الذات والتجربة الوطنية العراقية أنماط الصراع لديها من المناشئ التالية:

أولاً: المنشأ التاريخي: ونريد به اتحاد الذاكرة العراقية بين العراق التاريخي والعراق الحديث اتحاداً ماهوياً في طبيعة الهوية الطائفية والعرقية والثقافية في اللاوعي العراقي، وذلك عن طريق استدعاء الماضي بثقله وأنساقه وفروضه على الواقع المعاصر دون القيام بعمليات إعادة القراءة والتمثيل لهذا التاريخ في تنوعاته، وتقنيته وفق فروض الواقع الحديث للعراق،.. وكمصدق على ذلك تأتي الصراعات الطائفية (بين ما هو شيعي وسُني) والعرقية (بين ما هو عربي وكُردي وتركماني) كإنموذج لإستدعاء فعل الذاكرة التاريخية في التعاطي مع الواقع الوطني الحديث.

من هنا فإنَّ الصراع على ادعاء امتلاك الوطن تاريخياً أو احتكار تمثيله لشريحة عرقية أو طائفية معينة.. تأتي كإنموذج لإنسياق الذاكرة والفعل العراقي الى التاريخ.. وكان من المُفترض هنا أن نضع باعتبارنا التكوين الحديث للعراق المتنوع والفسيفسائي، وضرورة تحكيم استحقاقات هذا التكوين والتنوع القائم بعد تشكيل دولتنا ومجتمعنا الحديث، فالمواطنة كمبدأ وقيمة يجب أن تكون في مقدمة الاستحقاقات الدالة على الذات العراقية في ماهيتها الجديدة، بينما نرى أنها تعرضت لإسقاطات العِرقية والطائفية السياسية والدينية والثقافية لتُصادر بالتبع كقيمة جامعة ومظلة مُوحدة لكل العراقي، فكان البديل تفشي الصراعات الإثنية والطائفية.

إنَّ إشكالية الصراع القائم على الأساس التاريخي هي في عمقها إشكالية وعي وتمثّل للتأريخ بما يتناغم وفروض حركية الواقع والمستجدات الحادثة فيه، وكأننا هنا رهن استحقاقات الحاضر لحساب التأريخ، لنُعيد دورته عند كل تجربة جديدة!!!

ثانياً: المنشأ الإيديولوجي: ونريد به هنا، الأساس البنيوي الذي تعتمده التجارب المُنظرة والرائدة للعمل الوطني بشقيهِ الرسمي والمجتمعي،.. وهنا نرى أنَّ الذات الوطنية العراقية مرّت وما زالت بأشدّ أزماتها وصراعاتها المتوالية جرّاء الإحتكام إلى أُسس بُنيوية متعارضة ومتضاربة تراوحت بين أُسس مستوردة بعيدة عن الأصالة والواقع العراقي (كما في الطروحات السياسية اليسارية)، أو أُسس تمت أدلجتها لتُفرض على الواقع العراقي بالقوة (كما في الطروحات السياسية القومية)، أو أُسس تفتقر لمقومات الوعي لفروض الواقع المتغير والمتطور (كما في الطروحات السياسية الدينية).

إنَّ الأساس الموضوعي لصراعنا الإيديولوجي هو أساس وإشكالية بُنيوية في حقيقته، إذ لم ننجح في الإتفاق على مُركّب بُنيوي يضمن لنا ولوطننا فروض واستحقاقات الأصالة والحدّثة وينتج التنمية الوطنية كقاعدة للنمو والتقدم،.. بل آثرنا التخندق الإيديولوجي دون محاولة البحث عن المشترك في طبيعة مجتمعنا ومستلزمات بناء دولتنا، فقادنا هذا التخندق إلى الصراع الذي كانت حلّته الأولى والأخيرة الحواضن المجتمعية والوطنية على مر تاريخنا الحديث.

وهنا، فإنَّ فشلنا هو تعبير عن غياب منظومة بُنيوية شاملة يعتمدها المجتمع في إنتاج ذاته والدولة في إنتاج ذاتها، تضمن النهوض الشامل بجميع مرافق ذاتنا الوطنية على صعيد الهوية والانتماء والبناء والتقدم،.. ومثل هذا الغياب أحدث أزمة الصراع مع الذات في بُعدها البنيوي وما يقوم على أساسها من بناءات سياسية واجتماعية وحضارية.